عوامل النهوض الفكري في قرطبة
خلال عصر الدولة الاموية (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٦-١٠٣١م)

م. مهند راضي الخزاعي
كلية الامام الكاظم (ع) للعلوم الاسلامية الجامعة / قسم التاريخ
mohanadradi@alkadhum-col.edu.iq

الكلمات المفتاحية : قرطبة ، النهوض الفكري ، الحركة العلمية ، التعليم ، الرحلات العلمية

الملخص

تعد مدينة قرطبة إحدى أهم الركائز الاساسية للحضارة العربية الإسلامية في الاندلس ، ولكون ميدان العلم الوجه المشرق لهذه الحضارة ، لهذا تعمقت الرغبة والدوافع الشخصية نحو البحث والدراسة في هذا الحقل الحضاري ، حيث جاءت هذه الدراسة بعنوان " **عوامل النهوض الفكري في قرطبة خلال عصر الدولة الاموية (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٦-١٠٣١م)** " من أجل الكشف عن أهم الـ عوامل التي ساهمت بشكل جوهري بالنهوض الفكري والنشاط العلمي في مدينة قرطبة والتي لعبت دورا مهما في دفع عجلة العلم وأيضا العمل على ازدهار الحركة المعرفية بكل مظاهرها .

وقد تبين لنا :

كان التعليم في مدينة قرطبة مقسماً على مرحلتين ، أولهما التعليم الابتدائي الذي يستقبل الاطفال من بداية الإدراك الى سن الرشد ، وثانيهما التعليم الثاني أ و الثانوي الذي يستقبل من هم فوق سن الرشد ، وقد انصرف الكثير من العلماء الى اعداد المناهج التعليمية و بعض الكتب والمؤلفات في طرائق التدريس، وكان جامع قرطبة الكبير بمثابة المؤسسة العلمية والفكرية لتلقي العلم ، أما الرحلات العلمية التي كان يقوم بها علماء قرطبة الى المشرق فقد تركت الاثر الكبير في ازدهار الحركة العلمية ،وكان لظاهرة الاهتمام بالكتب وإنشاء المكتبات من قبل عامة الناس والحكام من عوامل النهضة الفكرية في مدينة قرطبة ، وقدد تمكن علماء قرطبة بنشاطهم العلمي الكبير من إغناء المكتبة العربية بألوان الانتاج المعرفي النفيس والذي يبرهن بوضوح على نبوغهم العلمي. ولا شك أن للاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي دورا في انصراف الناس نحو الابداع في مختلف ميادين النشاط الحضاري .

Factors of Intellectual Advancement in Cordoba

During the Umayyad Dynasty (138-422 AH / 706-1031 AD)

Lec. Muhannad Radi Al-Khuzai

College of Al-Imam Al-Kadhum (peace be upon him) for Islamic Sciences University / Department of History

.mohanadradi@alkadhum-col.edu

Keywords: Cordoba, Intellectual Advancement, Scientific Movement, Education, Scientific Trips

Abstract

The city of Cordoba is one of the most important pillars of the Arab Islamic civilization in Andalusia, and because the field of science is the bright face of this civilization. This is why the desire and personal motives towards research and study in this civilized field deepened. In order to reveal the most important factors that contributed substantially to the scientific activity in the city of Cordoba and which played an important role in advancing the wheel of science and also working on the flourishing of the scientific movement in all its manifestations. It receives children from the beginning of perception to the age of majority, and the second is the second or secondary education that receives those who are above the age of majority. Many scholars have devoted themselves to preparing educational curricula and some books and literature on teaching methods. The Great Mosque of Cordoba served as the scientific and intellectual institution for receiving knowledge. As for the scientific trips undertaken by Cordoba scholars to the East, they left a great impact on the flourishing of the scientific movement, and the phenomenon of interest in books and the establishment of libraries by the general public and rulers was one of the factors of the intellectual renaissance in the city of Cordoba. The scholars of Cordoba, with their great scientific activity, were able to enrich the Arabic library with the colors of precious knowledge production, which clearly demonstrates their scientific brilliance. There is no doubt that political, social and economic stability play a role in people's diversion towards creativity in various fields of civilized activity.

المقدمة

النظر في النهوض الفكري والمعرفي في مدينة قرطبة والتي تعد إحدى أهم ركائز الحضارة الاسلامية في الاندلس يشير الى الدهشة والاعجاب لشموله وكميته ونوعيته ، وبرصانته العلمية المتمثلة بعمق التفكير ودقة الفهم وكثرة التأليف ، وهذه الكثرة تتمثل كلها في كثرة العلماء وشيوخ المعرفة في الفنون وغزارة النتاج لثبت طويل من الاعلام الذي يتسم بالإبداع الانساني والشمول العلمي والارتفاع الفكري للارتقاء بالإنسان وتحقيق مواصفاته الانسانية الخلقية .

لقد انصبت اهتمامات الباحث على ما يختص بالحياة الفكرية والنشاط العلمي الذي برع فيه الاندلسيون وابدعوا في مجالاته المختلفة ، وكثيرا ما لفتت نظري الاعداد الهائلة من علماء الاندلس الذين تضمهم في بطونها كتب التراجم فحفظت سيرهم وجهودهم العلمية ، والحق ان الدارسات المتعلقة بالحضارة هي من أشق ما يتعرض له أي باحث ، وذلك لندرة المادة العلمية المتصلة بموضوعة البحث ، وهذا ما دفعه أن يستقي معلوماته من كتب التراجم والطبقات ، وكما معلوم ان هذه الكتب تضم الالاف من التراجم لعلماء الاندلس في مختلف العصور ، وهو بلا شك يجعل الباحث اكثر دقة في تتبع سير العلماء الذين عاصروا المدة قيد الدراسة ، وذلك لا يتم الا بمعرفة تاريخ ميلاد ووفاة كل منهم وارتباطهما بذلك العصر .

كما ان كتب التراجم الاندلسية الى جانب ما تتصف به من إيجاز في الكثير من التراجم ، تكاد تكون مادتها العلمية منصبة على علماء الدين واللغة والادب ، مما دفع الباحث الى التنقيب عن جهود العلماء الاخرين في فروع العلم الاخرى من رياضيات وفلك وتاريخ وجغرافية ، ولا ننسى أن المنهج الذي سار عليه اغلب المؤرخين المسلمين من التركيز في كتاباتهم على الجانب السياسي والعسكري، أثر في ندرة الكتابة عن وجوه النشاط الحضاري ومن بينها النشاط الفكري والعلمي الذي لا نكاد نجد من بين مصادر التاريخ الاندلسي مصدراً سخياً في هذا الميدان ، الا ما نجده في كتب الطبقات التي ترجمت لأهل العلم في عصور معينة .

ولكون ميدان العلم هو الوجه المشرق للحضارة الاسلامية في الاندلس ، وبه تجلى فضلهم وإبداعهم ، وكانوا به في موقف العطاء والبذل والمشاركة في بناء الحضارة الانسانية ، لهذا تعمقت الرغبة والدوافع الشخصية ورسخ الميل نحو البحث والدراسة في هذا الحقل الحضاري ، حيث جاءت هذه الدراسة بعنوان " **عوامل النهوض الفكري في قرطبة خلال عصر الدولة الاموية (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٦-١٠٣١م)** " من اجل الكشف عن اهم العوامل التي ساهمت بشكل جوهري بالنهوض الفكري والنشاط العلمي في مدينة قرطبة والتي لعبت دورا مهما في دفع عجلة العلم وأيضاً العمل على ازدهار الحركة العلمية بكل مظاهرها .

قسم البحث على مقدمة وتمهيد فضلاً عن خمسة مباحث مع الخاتمة ، تناولنا في المبحث الاول " التعليم والمؤسسات العلمية " ذكرت فيه المراحل التي سار عليها التعليم في مدينة قرطبة والمناهج المتبعة فيه ، فضلاً عن المؤسسات العلمية التي كانت منتشرة في هذا العصر . اما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان " الرحلات العلمية

ودورها في نقل التأثيرات المشرقية " ليسلط الضوء على الرحلات العلمية الى المشرق الاسلامي ، وارتحال علماء قرطبة الى المشرق في طلب العلم ودورهم في نقل التراث الفكري المشرقي اليها ، وناقشنا في المبحث الثالث " الاهتمام بإنشاء المكتبات واقتناء الكتب " وقد اشتمل اولاً: على مكتبات العلماء وعامة الناس . حيث اصبح جمع الكتب وإنشاء المكتبات ظاهرة لافتة للنظر عند المجتمع القرطبي لدى العلماء وعامة الناس ،أما ثانياً : سلطنا الضوء على مكتبات الحكام وعنايتهم الكبيرة بجمع الكتب واهتمامهم بإنشاء المكتبات. بينما حمل المبحث الرابع عنوان " الوراقة والنساخة " تكلمنا فيه عن اسهام فئة الوراقين والنساخين في أزدهار الحركة العلمية في قرطبة ، وتكلمنا في المبحث الخامس عن " وفرة الانتاج المعرفي " والذي يعد من العوامل الرئيسة في النهضة العلمية في مدينة قرطبة وهو في نفس الوقت نتيجة حتمية للمستوى الرفيع والغزارة العلمية الفياضة التي تمتع بها علماء قرطبة لتراكم المعرفة ، وختام المباحث كان المبحث السادس الذي اطره عنوان " بلاط الحكام " الذي كان يحتضن العلماء والادباء والشعراء . لقد تعددت مصادر هذا البحث بتعدد موضوعاته وتنوعها نذكر منها كتب التراجم فقد اعانتني في هذا البحث لما تضمنته هذه الكتب من معلومات لا تقل أهمية عن كتب الطبقات، ومن أهم هذه الكتب كتاب (المقتبس) لأبي مروان بن حيان بن خلف القرطبي (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦ م) ويضم هذا الكتاب معلومات عن علماء الأندلس ورجالها المشهورين. وكتاب الحميدي ابو عبد الله محمد بن فتوح (ت ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥ م) (جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس) وقد استفدت كثيراً من هذا الكتاب كونه يضم عدداً كبيراً من فقهاء وادباء وشعراء وأطباء قرطبة . فضلاً عن العديد من الكتب والمصنفات العلمية.

تمهيد

تعد مدينة قرطبة [١] منذ ان اختارها المسلمون حاضرة لهم في الاندلس وعلى الاخص منذ ان اتخذها الامير عبد الرحمن بن معاوية (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٠٠-٧٨٥م)) الملقب بالداخل" صقر قريش" حاضرة له ، مهد الحياة الرفيعة ، ومصدر الحضارة الاسلامية ، وموطن الفلاسفة والشعراء ، ومركز الفنون والآداب ، وكانت اكثر مدن أوربا سكاناً ، وقد وصفها مؤرخو العرب وجغرافيوهم ابدع وصف [٢]، بعد أن اصبحت في عهد الخلافة الاموية اكبر مدن العالم بعد القسطنطينية [٣] .

وكان حظ اهل الاندلس بشكل عام ومدينة قرطبة بشكل خاص من العلوم والآداب كبيرا للغاية ، فتقدمت تقدماً ملموساً منذ العهد الاموي ، واشتغل كثيرا منهم في الطب والكيمياء والهندسة والعلوم الرياضية والفلك ، ونبغوا في الفلسفة والفقه والتصوف والتاريخ والنحو والشعر[٤]، لتصبح فيما بعد تركة ضخمة ساهمت في البناء الثقافي والحضاري وقاعدة انطلق منها ملوك الطوائف (٤٢٢-٤٨٤هـ/ ١٠٣١- ١٠٩١م) ، والمرابطون (٤٨٤-٥٣٩هـ/ ١٠٩٢-١١٤٥م) ، والموحدون (٥٤٠- ٦٣٢هـ/ ١١٤٥- ١٢٣٢م) ، ومملكة غرناطة (٦٣٥-٨٩٧هـ/ ١٢٣٨-١٤٩٢م) ، في توظيف هذا التراث العلمي الضخم في استمرار وتقوية تيار الحركة الفكرية في الاندلس . لكن كل هذا يرجع لعوامل عدة ا ساسية في سلم النهوض الفكري والحضاري يمكن نوجزها بما يأتي :

المبحث الاول

التعليم والمؤسسات العلمية

ينقسم التعليم في قرطبة خلال الحكم الاموي على مرحلتين : اولهما تعليم الصبيان أو الولدان . وهو يتناظر مع ما لدينا الان " التعليم الابتدائي " ، أما المرحلة الثانية هو التعليم الثاني أو الثانوي ، ويستمر ليشمل تحصيل التعليم العالي ايضاً ، وفي ذلك يقول ابن خلدون " كانوا أهل خط وأدب بارع أو مقصر، على حسب مايكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبي " [٥] .

ونلاحظ أن التعليم الابتدائي يستقبل الاطفال الصغار من بداية الإ دراك لغاية سن الرشد ، معتمداً في مناهجه حفظ القران الكريم ، فضلاً عن مبادئ اللغة العربية ورواية الشعر وتعليم الخط [٦]، وفي هذا يذكر ابن خلدون " أما اهل الاندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو وهذا الذي يراعونه في التعليم ، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط وعنايتهم بالخط اكثر من جميعها " [٧] .

وأما مرحلة التعليم الثانوي فكانت تستقبل من هم فوق سن الرشد ، وكانت طبيعة المناهج تسير على المرحلة السابقة نفسها ، ولكن بشكل اكثر تعمقاً وتدقيقاً، وانصرف بعضهم على علم معين دون بقية العلوم ، وبهذا يشير بلاثيوس بقوله" إن اسبانيا كانت في التعليم المدني والتعليم الروحي على حد السواء تدين بفكرة الحرية الخالية من قيود النظام الرتيب، فكان كل انسان يختار بنفسه الشيخ الذي يروقه ، حتى اذا اخذ خطه منه تركه الى غيره في الناحية نفسها او ناحية اخرى " [٨] .

وكان للاهتمام العظيم بالتعليم وأدائه ان انصرف بعض العلماء الى رسم المناهج التربوية التي يجب ان تتوفر في عملية التعليم ، فقد صنف العلامة احمد بن عفيف بن عبد الله الاموي (٣٤٨-٤٢٠هـ/٩٥٩-١٠٢٩م) ، كتاباً في " آداب المعلمين " يقع في خمسة أجزاء [٩] .

اما مناهج التعليم ومضامينها فقد قامت أساساً على العلوم الدينية واللغوية ، إذ جمع فيها بين انتاج المشارقة و وبين انتاجهم المحلي ، فاختاروا في تلاوة القرآن الكريم القراءة الاكثر بساطة بين القراءات السبع الاصول ، وهي قراءة الامام ورش، حيث كان أول من ادخلها الاندلس الغازي بن قيس[١٠] . وفي التفسير فقد اعتمد على دراسة وتعليم تفسير محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) [١١].

وأخذ الحديث والفقه فقد اخذ حصة الاسد من حيث الاهتمام لديهم حتى جعلوا بلادهم دار فقه وحديث ، وقد اشتهر منهم بقي بن مخلد (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩ م) الذي ألف" مصنفه" ، روى فيه عن ١٣٠٠ صاحب [١٢] .

وكانت المناهج اللغوية قد شملت النحو والشعر ، ففي النحو جمع أهل قرطبة بين كتبهم فضلاً عن كتب المشارقة كسيبويه والكسائي والاصمعي ، التي أدخلها العلماء الرحالة معهم اثناء عودتهم الى بلادهم [١٣] ، اما

الشعر فكان اغلب ما اهتم به حكام وعلماء الناس اشعار ابي تمام والمتنبي [١٤] ، لكنهم استطاعوا نظم اشعار تنافس جمالاً ولغة فطاحل شعرا ء المشرق الاسلامي . فضلاً عن العلوم الاجتماعية فقد انحصر المنهج على علم التاريخ الذي تمثل في ثلاثة انواع : اولهما التاريخ العام الذي احتل فيه تاريخ الطبري مرتبه متقدمة من الاهتمام ، وثانيها تاريخ الاندلس الذي تمثل في انتاج ابن القوطية وآل الرازي ، وثالثهما تاريخ الطبقات الذي أبدع فيه أهل الاندلس وأكثروا منه [١٥] .

وعلى الرغم من أن أهل الأندلس لم ينشؤوا مدارس تعينهم على طلب العلم إلا أنهم كانوا أحرص الناس على طلبه، وكان للمسجد الجامع في قرطبة أثره الواضح في بعث الحركة الفكرية إذ عد اكبر جامعة إسلامية تدرس فيها العلوم والفنون والمعارف كافة ، وبذلك كان بمثابة المؤسسة العلمية والفكرية لتلقي العلم [١٦]، وقد وفد إليه طلبة العلم من مختلف المدن وعلى اختلاف فئاتهم العمرية [١٧].وكانت تعقد في زواياه وأعمدته الحلقات الدراسية[١٨]، إذ يجلس الأستاذ وحوله طلبة العلم من الرجال أو النساء لتدريس المناهج العلمية والأدبية التي تكون معدة ومنظمة ومهيأة للنقاش والحوار. وقد أُتيحت لهؤلاء الطلبة فرصة الاستماع إلى الأستاذ والسؤال في كل ما يتطـرق إليه [١٩] ، فهذا ابو علي القالـي اسماعيل بن القاسم البغدادي الذي وفد من المشرق الى الاندلس سنة (٣٣٠هـ/ ٩٤٢م) كان يملي كتابه " الامالي " في الجامع الكبير بقرطبة ، ثم جامع الزهراء [٢٠] ، وأصبحت مدينة قرطبة ومركزها العلمي المسجد الجامع منارا للعلم والعلماء وأصبح جامعة مركزية إسلامية تدرس فيه كافة العلوم الصرفة والإنسانية. وفي قرطبة تفر عت علوم كثيرة وفنون جمة وهي مدينة علم الأندلس[٢١] .

فضلاً عن ذلك كانت الكتاتيب عبارة عن مدارس صغيرة تنشأ عادة بجوار المساجد لتعليم الفتيان وكان هذا النوع اكثر تنظيما وضبطاً من حلقات المساجد ، وقد ذكر ابن عذاري هذا النوع من المؤسسات بقوله عن الخليفة الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) " ولم ينس امر التعليم فاتخذ المؤدبين ليعلموا أولاد الضعفاء والمساكين القرآن ، وأنشأ لذلك حول المسجد الجامع ، وفي ارباض (احياء) قرطبة سبة وعشرين مكتباً ، وأجرى عليها المرتبات " [٢٢] .

وتعد الحلقات الخاصة التي يعقدها العلماء في بيوتهم منبراً آخر لتلقي مختلف العلوم ، ومثال ذلك الحلقة الخاصة لأبي وهب بن عبد الرحمن العباسي (ت:٣٤٤هـ/٩٥٥م)،إذ ضمت مجموعة من الطلاب الذين تحلقوا حوله لطلب العلم ولم يكن يقبل بغيرهم ، خوفاً من اتهامه بالزندقة عند الحاكم [٢٣]، اما محمد بن عبد الله بن مسرة (ت: ٣١٩/٩٣٢م) ، كان يعقد حلقة منعزلة بجبل قرطبة وقد توافد الناس عليه لأخذ طريقته في الزهد ، الا انه لم يكن يعلّم فلسفته الا لبعض خواصه من الطلاب ، للسبب السابق نفسه [٢٤] .

المبحث الثاني

الرحلات العلمية ودورها في نقل التأثيرات المشرقية

لقد اعتاد العلماء والمسلمون في الاندلس اتخاذ الأسفار والرحلات الى مراكز العلم في حواضر العالم الإسلامي سنة كريمة وعادة حميدة لاكتساب المعرفة والتزود بالعلوم . و بدأت بلاد الأندلس تتصل بالمشرق، ومقابل ذلك بدأت التأثيرات المشرقية تنتقل إلى الاندلس من علماء المشرق الذين وفدوا اليها ، فضلا عن رحلات طلب العلم التي يقوم بها عدد من الاندلسيين إلى مراكز الإشعاع الحضاري والعلمي في العراق ومصر والشام والحجاز .

وكانت الرحلات العلمية من الوسائل التي عدّها العلماء المسلمون ضرورة يجب ان يسلكها طالب العلم في حياته العلمية ، وهكذا يتبين " ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم " [٢٥]، وقد تفتحت قرطبة منذ عصر الامير عبد الرحمن الداخل(١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٥م) لتيارات حضارية مختلفة ، بعضها من الشام والحجاز والبعض الاخر من العراق في ظل الخلافة العباسية [٢٦] ، ففي مجال الفقه يسجل دخول المذهب المالكي في الاندلس وانتشاره في قرطبةأهم أحداث عصر الامير هشام بن عبد الرحمن الملقب بالرضي (١٧٢-١٨٠هـ) ، وكانوا قبل ذلك على المذهب الاوزاعي[٢٧]، وأول من أدخل مذهب مالك بن انس إمام دار الهجرة (٩٣-١٧٩هـ/ ٧١٢-٧٩٥ م) الى الاندلس هو ابو عبد الله زياد اللخمي المعروف زياد شبطون (ت:٢٠٤ هـ- ٨١٩م)[٢٨] ، وكان قد رحل الى المشرق بعد عام واحد من امارة هشام الرضي ، وقد سمع الموطأ من مالك مباشرة [٢٩] .

وبطبيعة الحال كان العالم الاسلامي وحدة جغ رافية وثقافية له كيان فكري واحد لا يختلف ،فالعقيدة الاسلامية صبغت كل نشاط بصبغة واحدة ، فلا اختلاف بينهم مهما بعدت المسافات ، فلا غرابة ان يتجه الأندلسيون الى المشرق الذي سبقهم في مجال الحضارة بميادينها المختلفة ومنها ميدان العلم ولهذا نجد ان علماء الاندلس يرون أن الرحلة الى المشرق وأخذهم عن شيوخه تشريفاً وفخراً بين علماء بلدهم [٣٠] ، ولا يعني هذا القول ان من لم تكن له رحلة لم يكن عالماً ، او صاحب معرفة بالعلم الذي اختص به ، بل نقصد أنه لم يتوفر له ما توفر لغيره من العلماء الذين كابدوا الصعاب وتحملوا المشاق في سبيل التزود بالعلم وتوسيع دائرة معارفهم بتنوع ثقافتهم ودراستهم " فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها " [٣١].

واثمرت الرحلات العلمية لعلماء قرطبة فعاد الكثير منهم بعلم واسع ومعارف غزيرة ، فضلاً عن حملهم ألوان التصانيف وضروب التأليف النفيسة لأهل المشرق في مختلف حقول المعرفة ، وفي مقدمة هؤلاء العلماء وكما اسلفنا سابقاً ، الفقيه بقي بن مخلد (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م) ، الذي عاد الى الاندلس بكتب عديدة في الوان مختلفة من العلم كالفقه ، والتراجم ، والتاريخ والتي كان لها بلا شك تأثير عظيم في مد الحركة الفكرية في مدينة قرطبة بشكل خاص وللأندلس بشكل عام .

وتتابع علماء قرطبة في مسيرتهم بنقل العلوم والمعارف ، فقد رحل الى المشرق ابن سهلون بن اسود المعروف بابن الدباغ (٣٩٣ هـ/١٠٠٣م) [٣٢]، وهو محدث وفقيه ورحالة ، من مدينة قرطبة ، وذلك سنة (٣٤٥هـ/ ٩٥٦م) واستمرت رحلته نحو خمس عشرة سنة ،دخل فيها مصر والشام ،ثم انتقل الى مكة ليستقر فيها سنين عدة ، وسمع خلال رحلته هذه لجماعة من العلماء ، اذ تشير المصادر ان بلغ عدد شيوخه الذين كتب عنهم (٢٣٦) مائتا ن وستة وثلاثون شيخاً ، ومن أهم آثاره : كتاب " مسند حديث مالك بن انس " وكتاب" مسند حديث شعبة بن الحجاج" وكتاب " أسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين "،وكتاب "زهد بشر بن الحارث " [٣٣] .

ويعد ابن الفرضي(٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) من ابرز علماء قرطبة ، كان فقيهاً ومؤرخاً وعالماً بفنون الأدب وعلم الرجال وحافظاً للحديث ، رحل الى المشرق واخذ عن علمائهم ، وعاد الى الأندلس واستقر بقرطبة ، وله تصانيف وكتب عدة اشهرها : كتاب " تاريخ علماء الأندلس " ، فضلاً عن كتاب " طبقات شعراء الأندلس" و " المختلف والمؤتلف لإخبار علماء الأندلس " و كتاب " رياض الأنس في تاريخ علماء الأندلس" ، وديوان شعره[٣٤] .

وبلا شك إن مرحلة التأثير الفكري للمشرق الاسلامي في الاندلس بصورة عامة في عصر الامارة (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٩م) كان يمثل مرحلة الاقتباس والنقل ، لكنها ما لبثت ان خفت موجتها وحدتها بعد مدة من الزمن لتأخذ الاندلس طريقها نحو استكمال الشخصية العلمية والفكرية في بناء الحضارة الاسلامية ، ومما لا شك فيه ان عصر الخلافة الاموية في الاندلس (٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٩-١٠٣١ م) يمثل وجهاً جديداً في البناء الفكري والحضاري واخذت حركة نقل التراث الفكري المشرقي تخف وتهدأ ، واصبح التوجه نحو الاعتماد على الامكانيات الذاتية في بناء الكيان الحضاري والتوجه نحو العطاء والبذل العلمي ،ولا يعني هذا انهم قطعوا علاقتهم بالمشرق بل ظلوا على تواصل بعلمائه حيث دخلت بعض من الكتب المشرقية الى قرطبة ، فقد عاد ابو الحكم عمرو الكرماني (٤٥٨هـ/١٠٦٥ م) حاملاً معه رسائل الصفا وكان اول من ادخلها [٣٥] .

المبحث الثالث

الاهتمام بإنشاء المكتبات واقتناء الكتب

اولاً: مكتبات العلماء وعامة الناس

لقد اشتهرت مدن اندلسية عدة بالعناية بالكتب والمكتبات لا سيما مدينة قرطبة التي اصبحت مركزاً للتوجيه تجاوز حدود الاندلس واتسعت مكتباتها ومنابر العلم فيها التي اتخذت من المساجد موطناً تأوي اليه ، ولقد اعطت قرطبة للكتاب المنزلة اللائقة في خضم الحركة الفكرية والنشاط العلمي الذي شهدته ، ومن الادلة التي تثبت اهمية الكتاب اذ يشترط في من يتولى الرياسة ان يكون في بيته خزانة كتب [٣٦] .

ويروي لنا المقري" نقلاً عن أبي الفضل التيفاشي " مناضرة جرت بين الفيلسوف ابن الرشد القرطبي(٥٩٥هـ/١١٩٨م)، وبين الطبيب ابي بكر بن زهر الاشبيلي (٥٩٥هـ/١١٩٨م) في المفاضلة بين قرطبة واشبيلية ، فقال ابن رشد: " اذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها ، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية ، قال : وقرطبة اكثر البلاد كتباً" [٣٧] .وعلى الرغم من ان هذه المناظرة حدثت في عصر الموحدين- اي القرنين السادس والسابع الهجريين ، الا ان لها دلالة على احتفاظ قرطبة بمكانتها الفكرية بعد انقضاء قرنين من التاريخ على ما وصلت إليه من ازدهار في عصر الخلافة .

ويمكن ارجاع هذا الاهتمام بالكتب والتنافس عليها الى اسباب عدة : منها كان للسلام والنظام اثرهما الطبيعي ، فحلت التجارة والصناعة محل الاسلحة ،ونمت موارد الدولة وازداد دخل الفرد ، وقد جذب صيت المدينة إليها اشهر العلماء وطلاب العلم من داخل الاندلس وخارجها ، فضلا عن ذلك ظهور مهنة الوراقين ، وتعني الوراقة بمفهومها الحديث النشر بعناصرها المختلفة ، وأ يضاً الرغبة الشديدة لدى المجتمع القرطبي في تعلم القراءة والكتابة التي كانت تدفع بعجلة التأليف وتمدها بأسباب القوة [٣٨] .

وازدانت بيوت الاندلسيين بالكتب ، فاشتهرت كثير من المكتبات الخاصة للرجال والنساء ، علماء ومتعلمين حتى إنه كان لبعضهم جماعة خاصة من الوراقين يقومون باستنساخ الكتب [٣٩] ، فهناك العلماء الكبار لهم مكتبات كبيرة امثال يحيى بن يحيى الليثي (ت: ٢٣٤هـ-٨٤٨م) ، وعبد الملك بن حبيب السلمي (ت:٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)، وبقي بن مخلد (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م) ، وابن حزم (٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) واخرين ، ومن هؤلاء العلماء من لا تخلو ترجمته من اشارة لطيفة وعابرة لهذا الامر كأن تصفه بأنه كان ضابطاً لكتبه او معتنياً بتنقيحها [٤٠] .

وتعد مكتبة ابن فطيس[٤١] من اشهر واكبر المكتبات الخاصة في قرطبة وينسب صاحب هذه المكتبة الى اغنى الاسر بقرطبة ، اذ كانت تملك جميع منازل الحي المحيطة بالمنزل ، وقد شيدوا مبنى خاصاً للمكتبة وضع تصميمه بحيث يسمح برؤية جميع خزائن الكتب من مكان معين ، وصبغ مدخل المكتبة وسقفها وجدرانها والوسائد والابسطة باللون الاخضر الذي يرمز الى الشرف ، وكان يعمل بالمكتبة ستة من النساخين لا يتقاضون أجرهم على ما ينسخونه ، بل يتناولون أجراً ثابت القيمة حتى لا تؤدي العجلة الى وقع اخطاء في الكتابة [٤٢] . وايضا من اشهر جماعي الكتب : ابن سعدان ، الذي احتوت مكتبته على عدد كبير من الكتب و صنفها بفهرست بخط يده ، ونسخ عددا من كتبها ، وقد اوقف مكتبته عند وفاته لطلبة العلم [٤٣] ،

ولم يقتصر امر جمع الكتب على الرجال فقط ، بل شاركتهم النساء القرطبيات في ذلك ، نذكر منهن السيدة عائشة وهي من اسرة كبيرة دفعها حبها للأدب الى ان تعزف عن الزواج وتتمسك باستقلالها في الحياة وتوفيت وهي عذراء في سن مبكر تمتعت بمقدرة في نسخ الكتب ودفعها شغفها بالكتب الى تأسيس مكتبة من اشهر مكتبات قرطبة في ذلك الوقت[٤٤] .

وكانت حول المسجد الجامع الكثير من الاسواق ومنها سوق الكتب الذي يموج بالناس ، ومرتعاً خصباً لكل من قصد قرطبة من العلماء و طلبة العلم والمتعلمين بحثاً عن نفائس الكتب ونوادرها ، فضلاً عن ذلك اشتغال الكثير من اهلها بتجارتها اذا كان بها شارع يسمى شارع الوراقين [٤٥] ، حيث كانت لهم دكاكين خاصة بالوراقة ومن ابرزهم على سبيل المثال : يوسف بن محمد الهمداني (ت: ٣٨٣هـ/٩٩٣م) الذي قام بنسخ تفسير الطبري [٤٦] .

ومن دلائل عناية الأندلسيين بالكتب " حتى بين من لم تكن لهم سابقة في العلم والمعرفة " ما رواه احد العلماء القرطبيين ويدعى "الحضرمي" الذي اشتغل بالبحث عن كتاب يهمه حتى وجده في السوق ، الا ان منافسة بينه وبين أحد الوجهاء وقعت حول شراء هذا الكتاب ، فبلغت الزيادة بينهما فوق حده بكثير ، فاتجه الحضرمي الى الرجل متسائلاً:(أعز الله سيدنا الفقيه، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده؛ قال : فقال لي: لست بفقيه، ولا أدري ما فيه، ولكني أقمت خزانة كتب، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقي فها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته) [٤٧]، ونلمس من هذا النص فوائد عدة منها ما كان للكتب من اهمية عظيمة وانه كانت لها سوق خاص يتم فيها بيعها وشراؤها فضلاً عن المستوى الفني الرفيع الذي صاحب هذا النهوض الفكري والحركة العلمية من الاهتمام بالخط وتجليد الكتب ، كما ان في هذا النص دليل واضح على ما كان للكتب من منزلة سامية في قلوب العالم منهم والأمي .

ثانيا : مكتبات الحكام

لقد اهتم الحكّام في الاندلس خلال العصر الاموي بالمكتبات وشجعوا عليها وبذلوا بسخاء لاقتناء الكتاب من داخل الاندلس ، كما اوفدوا الى خارجها على من يجلبها لهم ، وشجعوا بمختلف الوسائل العلماء والمؤلفين على الانتاج والتأليف فأقاموا المكتبات المتعددة رغم من تلك الظروف في امكانية التحصيل ووسائل الاتصال والتوصيل والاتصال والسفر.

فقد أرسل الامير عبد الرحمن الاوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٢-٨٥٢م) العالم الشاعر عباس بن ناصح الثقفي الجزيري قاضي بلدة الجزيرة الخضراء الى المشرق الاسلامي ليلتمس بعض الكتب القديمة ويستنسخها ويضمها الى خزانة كتبه [٤٨]، وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) محباً للكتب مما جعل امبراطور القسطنطينية يرسل اليه عام (٣٧٧هم٩٨٢ م) هدية تحتوي كتابين قديمين احدهما " التاريخ " لهيروشيوش، والثاني في " النبات " لديسقوريدس [٤٩]. وفي تلك الايام بدأ كل من ولديه الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) ومحمد

دراستهما تحت اشراف معلمين من اهل البلاد ومن خارجها ، وقد زاد شغفهما بالكتب الى درجة قوية جعلهما لا يرضيان عن مكتبة ابيهما ويتفقان فيما بينهما على التنافس ، أيهما يجمع مكتبة أكثر عددا ، وبعد ان توفي محمد

ابن الخليفة الناصر ورث مكتبته اخوه الحكم المستنصر التي آلت اليه مكتبة والده بعد وفاته فجمع بذلك ثلاثاً من المكتبات هي مكتبة القصر التي اشتملت ما جمعه اسلافه ، ومكتبة اخيه محمد ومكتبته [٥٠] .

وكان امهر المجلدين في الاندلس يعملون باستمرار في القصر ومعهم مجلدون آخرون من صقلية وبغداد ، ومنمنمون ورسامون ليزينوا الكتب التي كان ينسخها امهر النساخين بالحليات البديعة [٥١] ، ومن بين العلماء الذين خدموا الحكم المستنصر بالله في مراجعة الكتب وتصحيحها : محمد بن عبد السلام النحوي المعروف بالرباحي القرطبي (ت: ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م) [٥٢] ، واكثر من نال تقدير الحكم المستنصر من بين النساخين الوراقين الذين كان في خدمته :عباس بن عمرو الصقلي (ت:٣٧٩هـ/ ٩٨٩م) من أهل صقلية ، فقد نسخ للخليفة كثيراً من الكتب وجلدها[٥٣] ، وظفر البغدادي ، ويوسف البلوطي وغيرهما [٥٤].

ومن الخطاطات اللاتي كن في خدمة الحكم المستنصر " لبنى الكاتبة " (ت: ٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م) [٥٥] ، وفاطمة بنت زكريا بن عبد الله الكاتب المعروف بالشبلاري(٤٢٧هـ/١٠٣٥م)، وكانت كاتبة الخليفة [٥٦].

ونلاحظ أن وظيفة رئيس المكتبة وامينها من الوظائف الكبرى في القصر ويشغلها "خصي " وهو المسؤول عن تكوينها وحفظ سجلاتها وصيانة الكتب في اماكنها ، ونعلم من خبر نقل من امين لها يسمى الفتى " تليد" ، ان المكتبة كانت تحتوي على اربعمائة ألف مجلد وان فهرسها المشتمل على عنوانات الكتب وأسماء المؤلفين مكون من أربع واربعين كراسة كل كراسة منها تشمل على خمسين ورقة [٥٧] . ومن المفهوم ان لا مغالاة في هذا التقدير لا سيما اذا ما تذكرنا ان المكتبة تضم ثلاث مكتبات ، وان الحكم المستنصر كان يبعث بعض التجار ويجعل له الوكلاء في الامصار الاسلامية المختلفة يجلبون إليه الكتب ، وكان له وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له ، وهو الذي بعث بطلب كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ، فأرسل الى الحكم المستنصر نسخة منه قبل ان يخرجه الى العراق[٥٨] .

وبعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر جاء ابنه هشام المؤيد الذي كان معتزلاً لشؤون الدولة لتسلط الحاجب المنصور بن ابي عامر (٣٦٦-٣٩٢/ ٩٧٦-١٠٠٢م) وتوليه زمام الحكم وامور الدولة ، فقد كانت له مكتبة كبيرة اختص بها وولده من بعده ، وكان يقوم على النظر فيها والاشراف على محتوياتها العلامة الوراق محمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوي القرطبي (ت:٤٢٣هـ/ ١٠٣١ م) ، وكان لمهارته في الخط وشؤون الوراقة اثر في معرفته الجديدة بشؤون الكتب وصيانتها واصلاح ما قد يكون في خطوطها من اخطاء، فكان يقوم بفحصها ويقابل بين نسخها ، فضلاً عن برا عته في التاريخ فقد الف مصنفاً في تاريخ العامرين [٥٩] .

المبحث الرابع

الوراقة والنساخة

الوراق في اللغة ، هو ذلك الذي يمتهن حرفة الوراقة يقال ، رجل وراق ، هو الذي يورق ويكتب ، وتأتي ايضاً، مورق الكتب : اي حرفته الوراقة [٦٠] ، فيما عرف ابن خلدون الوراقين بقوله :(الذين يعانون إنتساخ الكتب

وتجليدها وتصحيحها والاشتغال بسائر امور الكتابة)[٦١] ، وفيما يخص المشتغلين بشؤون الوراقة ، فإن السمعاني يعرف الوراق بقوله :(هذا اسم لمن يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها ، وقد يقال لمن يبيع الورق ، وهو الكاغد ببغداد ، الوراق ايضاً) [٦٢] ،

ومن هذه التعريفات يتضح ان هناك معان عدة جامعة في هذا الاصطلاح ، منها ما هو مهني ، وابداعي ، وتجاري ، وديني ، فالنسخ يكاد يشكل المهمة الاولى في عمل الوراق ، فيما تأتي تجارة الورق في المحصلة الثانية ، فضلاً عن المشتغلين بكتابة القرآن وعلم الحديث ، ثم اندمج هذا الاصطلاح كل من يجلد الكتب ، ومن يبيعها [٦٣] ، فالتداخل في الاشتقاق بين لفظة وراق و وراقة ، واضحة الدلالة من خلال السياق والمعنى والذي تحويه مهنة الوراقة ، وفي ضوء ذلك يمكن تقسيم الوراقة على النحو الآتي:

اولاً: النسخ ، ويدخل ايضاً في خانته التزويق والتذهيب والتخطيط

ثانياً: بيع الورق وسائر ادوات الكتابة ، كالأقلام والحبر وغيرها

ثالثاً: تجليد الكتب

رابعاً: بيع الكتب [٦٤] .

وقبل الحديث عن اسهام فئة الوراقين في ازدهار الحركة الفكرية ، لا بد ان نشير الى احد فضائل الحضارة الاسلامية في الاندلس على أوروبا وهي صناعة الورق ، فقد اشتهرت الاندلس لا سيما مدينة شاطبة بصناعة الورق الفاخر الذي كان لنفاسته صدى عظيم في العالم الاسلامي آنذاك ، وكان بالمدينة المذكورة مصانع كبيرة للورق في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، ثم انتقلت صناعته الى مدينة قرطبة وطليطلة في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي [٦٥] .

ومن نتائج صناعة الورق وانتشار استعماله ظهرت طائفة من المشتغلين بشؤون الكتاب من نسخ وتجليد وبيع الورق [٦٦] ، وهؤلاء هم (الوراقون) الذين كان لهم الدور المميز في النهضة العلمية بقرطبة ، وقد عرفوا بأنهم من امهر الوراقين واحذقهم في هذا الميدان ووصفت خطوطهم بأنها مدورة [٦٧] .

وكما اسلفنا فقد قدمت دكاكين سوق الوراقين في قرطبة خدمة جليلة للعلم رفدت العلماء وطلاب العلم الذي يشتغلون بالتأليف وعمل التصانيف والتراجم بكل ما يحتاجونه من وسائل ادوات الكتابة كالأقلام والحبر الورق [٦٨] . وقد شكل سوق الوراقين حاضناً ثقافياً – وحضارياً متطوراً ، يستحق ان يتباهى به اهل قرطبة كإنجاز حضاري ، حيث كان هذا السوق فضلاً عن كونه سوقاً تجاريا ، ملجأ الصفوة العلمية من اهل الادب والفكر والسياسية ، فقد كانت الندوات العلمية والثقافية تعقد فيه ، وفيه يتناظر العلماء ، وعند دكات الوراقين كانت المجالس العلمية تعقد ، وضجيج الفلاسفة والمتكلمين يسمع ، فهذا وراق عالم بعلوم الحديث ، وذاك اديب يغشاه الادباء ، وثالث متكلم ، وخامس ناقد للشعر ، وسادس اخباري ، وسابع نسابة واخرون في اختصاصات اخر ، لذلك كان الرواد من

الادباء والعلماء يعرفون غاياتهم وكل يجد ضالته عند وراق معين ، وقد انتقلت هذه الظاهرة من المشرق الاسلامي بتلك الاساليب نفسها [٦٩] .

وكان الكثير من الحكام و العلماء المهتمين والمشتغلين بالبحث العلمي يوظفون لديهم طائفة منهم ليقوموا بنسخ ما يهمهم من التصانيف ، فالخليفة الحكم المستنصر لعنايته الكبيرة بشؤون العلم والمعرفة جند طائفة من الواقي للعمل في قصره الذي ضم مكتبته الكبيرة فخصص للوراقين جناحاً كبيراً في ذلك القصر ليقوما بأداء عملهم فيه [٧٠] ، ولا شك ان لأولئك الوراقين دور في ترتيب وتنظيم مكتبة الحكم ، وذلك لسعة ثقافتهم وعمق معرفتهم بشؤون الكتب وما يتعلق بها ، ونلمس من خلال لفظ " الرئيس" أن هناك نظاماً يسود مهنة الوراقة ، فكان لكل مجموعة من الوراقين رئيس يشرف عليهم في مهمة النسخ والتثبت من صحة ما يقومون به ويصحح ما قد يقع منهم اخطاء.

والجدير بالذكر ان الوراقين من وراء عملهم منزلة رفيعة في المجتمع كما انهم بلغوا درجة طيبة من الثراء ، فهذا العلامة احمد بن عباس (ت: ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م) الذي برع في نسخ الكتب وجمع نفائسها (مغالياً فيها نفّاعا من خصه بها ولا يستخرج منها شيئا لفرط بخله بها إلّا لسبيلها، حتى لقد أثرى كثيراً من الوراقين والتجار معه فيها وجمع منها ما لم يكن عند ملك)[٧١] ، ونلاحظ في النص إشارة مهمة الى دور الوراقين في الحركة العلمية ، وانهم اسهموا بقدر كبير في ازدهارها ، كما انهم بلغوا درجة طيبة من الثراء كالعلامة المذكور (يقال إنه لم يجتمع عند أحد من نظرائه ما اجتمع عنده من عين وورق ودفاتر وخرق، وآنية، ومتاع وأثاث وكراع)[٧٢] ،هذا ما جعل حرفة الوراقة من اهم الحرف في المجتمع القرطبي .

ونود ان نشير الى الكيفية التي يتم بموجبها عملية النسخ ، فقد كانت طريقتان: اولهما ان ينسخ الناسخ من المخطط الذي بين يديه مباشرة بنفسه ، وبعد اتمامه لنسخ يعرضه على غيره من اجل مراجعته والتأكد من خلوه من الاخطاء[٧٣] ، وثانيهما الاملاء: وهو ان يقعد عالم وحوله تلاميذه بالقراطيس والمحابر فيكتبون ما يملي عليهم العالم [٧٤] .

المبحث الخامس

وفرة الانتاج المعرفي

دون شك فإن الجو العلمي الذي عاشته قرطبة متمتعةً بالاستقرار السياسي والاقتصادي أنتج شمولاً في طلب العلم وكثرة من العلماء ووفرة في المكتبات واهتماماً باقتناء الكتب وشغفاً للاعتناء بالعلم وسعياً في طلبه ، قد دفع هذا الى ثلاث ظاهرات في قرطبة :

اولا : ظاهرة كثرة عدد الكتاب والمؤلفين.

ثانياً : ظاهرة الاكثار من الانتاج ما يخص كل مؤلف وفي ميادين عدة من المعرفة ، مع الاحتفاظ بالأصالة والعمق ، فهيأ ثراء في الانتاج العلمي المتنوع.

ثالثاً : ظاهرة كثرة عدد الاجزاء ما يخص كل الكتاب الواحد ، مع انتاج العديد من الكتب ذوات الاجزاء الكثيرة لمؤلف واحد.

ونظرة لما وصلنا لعديد من هؤلاء العلماء تدلنا على العمق والشمول وتشير الى المتانة في التأليف ومقدرة على الانتاج العلمي الغني بتنوع المعرفة ، فهذا بقي بن مخلد (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م) ، يعد من بين أشهر علماء القرن الثالث الهجري في الأندلس ، وأحد الاعلام الموسوعيين وهو صاحب التأليف الحسان الكثيرة[٧٥] ، ومن مؤلفاته كتابه في " تفسير القران الكريم " الذي يقطع ابن حزم دون استثناء انه لم يؤلف تفسيراً في الإسلام مثله [٧٦] .وأيضاً المؤرخ والمقرئ محمد بن خيرون (ت: ٣٠١ هـ/ ٩١٣م) ، الذي ترك لنا أرثاً علمياً منها:كتاب "نسب الفاطميين الشيعة "، وكتاب "الأداء "، و "الألفات واللامات في رسم المصحف" ، وكتاب "الابتداء والتمام في القراءات " [٧٧] .

وهناك تراجم لعلماء قرطبة وأ برز رجالها من العلماء والفقهاء والادباء وهذه التراجم عدت اهم المصادر لدراسة التاريخ والمجتمع الاندلسي وتميزت بوضوحها وسهولة الاسلوب المتبع في سرد الاحداث والاخبار والاشخاص مستعملاً الحروف الابجدية في اللغة العربية ليسهل على المطلع على تاريخ أمته البحث والدراسة. ومن المؤرخين والرواة الذين بحثوا في تاريخ الاندلس هو ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الازدي المعروف بابن الفرضي (ت ٤٠٣هـ/١٠٦٢م). وكتابه تاريخ علماء الأندلس [٧٨] ،وكذلك لنا في ذلك المؤرخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن الحارث بن اسد الخشني (ت ٣٦١ هـ/٩٧٠م) ومن تصانيفه " تاريخ قضاة قرطبة " ، و كتاب" الاختلاف والافتراق في مذهب مالك " وكتاب " تاريخ افريقية " [٧٩] .

فضلاً عن ابن حيان القرطبي (٣٧٧-٤٦٩هـ/٩٨٧-١٠٧٦م) الذي يعد من أبرز الكتاب الذين كتبوا عن الاندلس إذ حوت مؤلفاته معلومات تاريخية وجغرافية قيمة عن الأندلس[٨٠]. ومن أهم آثاره العلمية كتاب " المتين " في تاريخ الاندلس ويقع في ستين مجلد ، وايضاً كتابه (المقتبس في اخبار بلاد الأندلس) الذي يعد من انفس كتب التاريخ الاندلسية تحدث فيه عن اشهر عظماء الأندلس ورجالها المعروفين في السياسة والتاريخ والفكر[٨١] .

أما في الادب فقد اشتهرت قرطبة في الشعر والنثر الشعراء الذين برزوا على الساحة الادبية وانشدوا الشعر للخلفاء بالجوامع التي بنوها والقصور التي شيدوها واستعملوا ملكات الحس والخيال ، ولنا في اديب قرطبة وشاعرها محمد بن عبد ربه احمد بن محمد القرطبي (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) صاحب كتاب العقد الفريد. [٨٢]. وايضاً من الشعراء

المعروفين في قرطبة الشاعر الفيلسوف ابو محمد علي بن حزم الظاهري القرطبي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) وكتابه المعروف "طوق الحمامة في الالفة والالاف" [٨٣].

كما نلحظ كثرة الاعلام في كل ميدان وثراء الانتاج في العلوم المختلفة وطبعا في العلوم الصرفة ، مثل الطب والرياضيات والهندسة والفلك والكيمياء والعقاقير (الصيدلة) ، ولكثير منهم مؤلفات عدة بلغت الغاية في قيمتها العلمية والفكرية . وأول من برع من علماء قرطبة في العلوم الصرفة وتحديداً في الرياضيات يحيى بن يحيى القرطبي المعروف بابن السمينة (ت ٢٩٥هـ/٩٠٧م) كان بصيراً بالحساب والنجوم والطب[٨٤] . كما نسب الى الفقيه المؤرخ محمد بن الحارث الخشني (٣٦١هـ/٩٧١م) الاشتغال بالكيمياء ، وقد وصف بأنه كان (يعمل بالادهان ويتصرف في ضروب من الاعمال اللطيفة) [٨٥] ، وكذلك مسلمة بن القاسم القرطبي (ت ٣٥٣هـ/ ٩٦٤م) [٨٦] .

والجدير بالذكر أنه قد ظهر في قرطبة مدرسة علمية كبيرة في الرياضيات والفلك كان لها الاثر في نشاط تلك العلوم وتخريج أفواج كبيرة من الرياضين والفلكيين والكيميائيين ، وهذه المدرسة العلمية هي مدرسة العلامة ابو القاسم مسلمة بن احمد المجريطي القرطبي (ت٣٩٨هـ/٩١٩م) الذي يعد إمام الرياضيين في الأندلس زمن الخليفة الحكم المستنصر ، وتتلمذ على يده عدد من التلامذة حتى صاروا فيما بعد رواد الحركة العلمية والفكرية في مختلف العلوم[٨٧]. وقد الف كتاباً في الرياضيات لا سيما في علم العدد وهو المعروف لدى اهل الاندلس بـ" المعاملات " [٨٨] ، فضلا عن كتاب " رتبة الحكيم " بما حواه من معارف وخبرات علمية تدل دلالة واضحة على ما تمتع من براعة تامة في علم الكيمياء[٨٩] .

المبحث السادس

بلاط الحكام

كان بلاط الحكام الامويين في الاندلس يعج بالعلماء في الكثير من التخصصات لا سيما اهل الشعر والادب ، وذلك لكون معظم الامراء والخلفاء الامويين محبين للشعر واهله ، وفي ذلك يقول المقري :(وللشعر عندهم –اهل الاندلس – لـه حـ ظ عظيم ، وللشعراء من ملوكهم وجاهة والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم " [٩٠] ، هذا النص فيه اشارة واضحة الى جعل هذه البلاطات بمثابة مؤسسة معرفية تعقد فيه الندوات والجلسات العلمية ، يلتقي فيها العلماء ويتبادلون الافكار ويتناظرون بالآراء.

ونجد أن بعض الامراء والخلفاء مولعين بالعلم و كان فيهم الشاعر والاديب والبليغ ، وأولهم عبد الرحمن بن معاوية الداخل(١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٠٠-٧٨٥م)) وهو اول من تولى الحكم من بني امية وكان عمره عندها خمساً وعشرين سنة[٩١]، وكان من أهل العلم والمعرفة حيث شجع العلماء وقربهم إليه[٩٢] ، أما الامير عبد الرحمن بن الحكم الثاني (٢٠٦-٢٣٨ هـ) /(٨٢١-٨٥٢ م) ويكنى ابو المطرف ، عرف بسيرته المحمودة وعلمه

في الشريعة والفلسفة، وكانت أيامه أيام هدوء وسكينة واستقرار سياسي واقتصادي، حيث كثرت الاموال عنده ، واتخذ القصور والمتنزهات في مدينة قرطبة [٩٣] ، وكان مولعاً بالموسيقى والغناء ، وقد قدم عليه المغني زرياب من العراق فاستقبله بنفسه وبالغ في اكرامه ، بعد ذلك نقل زرياب صناعة الغناء بالأندلس [٩٤].

ومن أمراء قرطبة الامير الاموي محمد بن عبد الرحمن(٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) هو ايضاً كان محباً للعلوم مؤثراً لأهل الحديث [٩٥]. وفي عهده دخل بقي بن مخلد. إلى الأندلس بعد رحلته الطويلة من المشرق جامعاً من العلوم الواسعة والروايات العالية والاختلافات الفقهية فكان منها كتاب (مصنف ابي بكر بن ابي شبية) وقد أغاظ ذلك فقهاء قرطبة واصحاب الرأي لما فيه من الخلاف فألزموه البدعة وحرضوا العامة عليه ومنعوه من قراءته[٩٦]. إلى ان وصل خبره إلى الامير محمد فاحضروه الى بلاطه ومعه الكتاب ، وقام بتصحفه صفحة صفحة حتى آخره ، وبعدها أمر خازن الكتب قائلاً : (هذا الكتاب لا تستغنى خزانتنا عنه ، فانظر في نسخة لنا) ثم قال لبقي بن مخلد : (انشـر علمك واروي ما عندك في الحديث وأجلس للناس حتى ينتفعوا بك) [٩٧].

اما بلاط عهد الخلافة فكان من الناحية العلمية اشهر وأعظم من العهود السابقة ، ولا شك انه كان للاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي في انصـراف الناس نحو ميادين النشاط الحضاري بمختلف وجوهه، وكان لنشأة الخليفة الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) اثر كبير في سيرته وفي موقفه من النشاط العلمي ، فما كاد يبلغ اشده حتى ظهرت نجابته ، وابدى على الرغم من صغره نباهة وتفوقاً في العلوم والمعارف ، فقد درس القران والحديث وهو طفل لم يتجاوز العاشرة ، وبرع ايضاً في اللغة والشعر الى جانب فنون الحرب والفروسية [٩٨] . وكان بلاطه يحتضن العلماء والادباء والشعراء مثل الاديب احمد بن عبد رية القرطبي ، وكذلك اديب المشرق ابو علي القالي البغدادي(ت:٣٥٦هـ/٩٦٧م) الذي وفد في عهده وتبوأ مكانة سامية بين علماء البلاط ، والفقيه الشافعي احمد بن الوهاب-ابن صلى الله ، وقاسم بن اصبغ البياني [٩٩] ، وتوافد على بلاط الخليفة الناصر وابنه المستنصر وخدموا فيه ابرز الاطباء منهم العرب المسلمين ومنهم المسيحيين مثل خلف بن عباس الزهراوي أ عظم الجراحين المسلمين ، وعمران بن ابي عمر ، وابن فتح طملون ، ويحيى بن اسحاق ، وابو بكر سليمان بن باج ، واشهرهم احمد الحراني الذي اسس مكتبة طبية بالقصر في عهد الحكم المستنصر ومختبر خاص لصناعة الادوية [١٠٠] .

ويعد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠- ٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) من أبرز خلفاء الاندلس علماً وادباً ، فقد كان له عناية واهتماماً بالغين بكل ماله صلة بالعلم والمعرفة وأكسبه ذلك علماً واسعاً ، وادراكاً سليماً لقضايا العلم حتى اصبحت آراءه في ميدان العلم حجة لدى العلماء [١٠١] ، وكان لحبه للعلم وشغفه بألوان المعرفة أن كان سباقاً الى ميدانها فأسهم في ازدهار الحركة العلمية في عصره اسهاماً بارزاً ، ولا نبالغ اذا اعتبرناه بجهوده العلمية رائداً للنهضة العلمية في عصر الخلافة .

وكان لنشأة هذا الخليفة أثر كبير في تشكيل سلوكه تجاه الحركة الفكرية فقد درس على الكثير من العلماء ، منهم الاديب محمد بن اسماعيل القرطبي (ت: ٣٢١هـ-٩٤٢م) الذي تلقى على يديه بعض العلوم كالأدب والنحو والحساب وأفاد منه دراسة العلوم بطريقة تحليلية صحيحة وعميقة ، اذ وصف هذا الاديب بعمق التفكير ودقة التعبير في اشتغاله بالعلم [١٠٢] ، ودرس علوم الدين من حديث وتفسير وفقه على يد العلامة قاسم بن أصبغ الذي رحل الى المشرق ، وايضاً استفاد الحكم المستنصر واقتبس من علم اللغوي على بن معاذ بن سمعان الرعيني وكان من اهل الادب واللغة الى جانب مهارته في التاريخ والانساب وقد استقدمه الحكم الى بلاط قصره حيث اخذ عنه الكثير من المعارف [١٠٣] . وعرف عن الحكم الخليفة المستنصر بالله ولعه بحضور المناقشات العلمية والأدبية في بلاطه وكان خلالها يجالس العلماء ويناقشهم على قدم المساواة في المنزلة العلمية [١٠٤] .

كما استأدب الحاجب المنصور بن ابي عامر (٣٦٦-٣٩٢/ ٩٧٦-١٠٠٢م) لأبنائه وكان يحضر مجالسه الخاصة ببلاط قصره ، وجعل أرفع فقهاء عصره احمد بن ذكوان من خواصه واسند اليه القضاء ، ووضع له بداخل القصر بيتاً خاصاً يأتيه إليه فيه ويناقشه في أمور الحكم المختلفة [١٠٥] ، وجعل على رأس ديوان الانشاء أديبين مشهورين هما: ابن الجزيري (ت: ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) ، وابي حفص بن برد الأكبر (ت: ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م) [١٠٦] ، ولم يكن سخاء المنصور ورعايته للعلماء يقف عند حدود معينة ، فقد ذُكر ان المنصور اغتم لموت الفقيه القاضي محمد بن زرب (٣١٩-٣٨١هـ/ ٩٣١م) فكتب لورثته كتاب رعاية وتكريم ، وفي هذا يقول النباهي :(وليس من افعال المنصور ببدع فقد كان في حسن معاملته للناس والوفاء بمنزلة لا يقول بوصفها كتاب ... حتى يقال انه لا ياتي الزمان بمثله في فضله) [١٠٧] .

واتخذ الخليفة هشام المؤيد بالله ، المقرئ سعيد بن ادريس بن يحيى السلمي (ت: ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م) اماً بالقصر منذ توليه الى ايام الفتنة التي عصفت بالخلافة والدولة الاموية [١٠٨].

وبناء عليه فإن عصر الخلافة كان عصراً متميزاً ازدهرت فيه العلوم والآداب ، وانصرف العلماء فيه الى تحصيل العلم وتصنيف الكتب في شتى حقول المعرفة ، ولا ريب في ذلك فان الكثير من كتب العلم التي ألفت لتدل على ما اتسم به مناخ خصب نمت فيه القدرات العلمية فأعطت ثماراً يانعة في ميدان الفكر واصبحت حاضرة الخلافة قرطبة داراً للعلم ومركزاً ثقافياً زاهراً استقطب العلماء من اقاصي البلاد وجذب الطلاب من نواحي الاندلس المختلفة بل ومن خارجها في صورة تؤكد عظمة ذلك العصر ومدى ما حققه الاندلسيون من نشاط علمي كبير .

الخاتمة

تعد مدينة قرطبة من المدن القلائل التي ارتفعت الى مصاف الحواضر العظمى في العالم خلال العصور الوسطى ، ولا تقل كثيراً عن شهرة بغداد حاضرة خلفاء بني العباس او القسطنطينية مقر اباطرة بيزنطة ، ولا نتجاوز الصواب اذا ذكرنا انها كانت من بين المدن الاسلامية الكبرى التي أثّرت تأثيراً عميقاً في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في المشرق والمغرب ، واصبحت بحق مهد الحياة الرفيعة ، ووطن الفلاسفة والشعراء والادباء ومركز الفنون ومنار العلوم ، وكان من دلائل هذه النهضة الفكرية الاهتمام بحقل التعليم الذي كان مقسماً على مرحلتين ، اولهما التعليم الابتدائي الذي يستقبل الاطفال من بداية الادراك الى سن الرشد ، . وثانيهما التعليم الثاني او الثانوي الذ ي يستقبل من هم فوق سن الرشد ، وقد انصرف الكثير من العلماء الى اعداد المناهج التعليمية التي قامت اساساً على العلوم الدينية واللغوية ، فضلا عن بعض الكتب في طرائق التدريس مثل كتاب " ادأب المعلمين " للعلامة احمد بن عفيف الاموي . وكان جامع قرطبة الكبير بمثابة المؤسسة العلمية والفكرية لتلقي العلم ، فضلاً عن ذلك كانت الكتاتيب عبارة عن مدارس صغيرة تنشأ عادة بجوار المساجد لتعليم الفتيان.

ومن خلال تتبعنا لسير الحركة الفكرية في مدينة قرطبة نجد ان الرحلات العلمية التي كان يقوم بها علماء قرطبة الى المشرق وما نجم عن ذلك من تأثير علمي كبير ، تركت اعمق الاثر في ازدهار الحركة العلمية والتعرف على مناهج البحث والدراسة التي سبقهم اليها اهل المشرق ثم ما لبث القرطبيون بعد ذلك ان نافسوا اخوانهم المشارقة في الميدان العلمي .

ومن عوامل النهضة الفكرية في مدينة قرطبة آنذاك ظاهرة الاهتمام بالكتب وانشاء المكتبات في صورة قلما نجد لها نظيراً على وجه التقريب ، وقدم الباحث في هذا الميدان من الشواهد ما يثبت ذلك لا سيما في عهد الخليفة الحكم المستنصر الذي كان له جهود موفقة في جمع الكتب، فضلاً عن ما حفظ التاريخ من اسماء الكثير من هواة جمع الكتب ، ومن الطبيعي ان يستتبع الاهتمام بالكتب نشاط حرفة الوراقة وما تشمله من تجارة الكتب ونسختها وتجليداها وهي حرفة لقيت من اهل قرطبة كل عناية واهتمام .

وفيما يتعلق بالنشاط العلمي في العلوم والآداب فقد تمكن علماء قرطبة بنشاطهم المعرفي الكبير من اغناء المكتبة العربية بألوان الانتاج الفكري النفيس والذي يبرهن بوضوح على نبوغهم العلمي وعلى ما كانوا يتمتعون به من قدرات علمية كبيرة ، فضلاً عن تشجيع ودعم الامراء والخلفاء الذين كانوا مولعين بالعلم وكان لهم اهتمام واسع لأعلام النهضة الفكرية في قرطبة ودور مهم في تنشيط الحركة العلمية والنشاط المعرفي بدليل ما شهده بلاط الحكام من توافد العلماء والادباء والشعراء إليه والذي كان نموذجاً حضارياً للمحافل الثقافية والعلمية ، ولا شك ان للاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي دور في انصراف الناس نحو الابداع في مختلف ميادين النشاط الحضاري .

الحواشي

(١) قرطبة من أعظم مدن الأندلس في كثرة أهلها وسعة رقعتها ، اتخذها بنو أمية قاعدة ومقراً لهم، وهي في ذاتها خمس مدن يعلو بعضها بعضاً ، وفيها من الاسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات ، ونتيجة لهذا الازدهار في العمران أزدحم فيها الناس ازدحاماً لم تألفه مدينة اخرى .ينظر : ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي (٣٦٧هـ/٩٧٧م) ، صورة الارض(بيروت: دار مكتبة الحياة،١٩٧٩م) ص١٠٧؛ المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي(ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م) ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق : محمد سعيد الوبان(القاهرة : دار الطباعة السلطانية ، ١٩٦٣م)، ص ٤٥٦.

(٢) ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى بن عبد الملك (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) ، المغرب في حلى المغرب، تحقيق : شوقي ضيف (مصر: ، دار المعارف ، ، ١٩٥٣م) ج١ ، ص ٢١-٢٢؛ الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٤٨ ٩هـ/ ١٠٩٥م) ، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق :احسان عباس (بيروت : دار صادر، ١٩٧٥م) ،ص ١٥٣-١٥٤.

(٣) سالم، السيد عبد العزيز ، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس (الاسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٥م) ص33.

(٤) بروفن سال ، ليفي ، حضارة العرب في الاندلس ، ترجمة : ذوقان قرقوط (بيروت : دار مكتبة الحياة ، د ت) ص٧٦؛ هونكة ، زغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون وكمال الدسوقي ،ط١ (المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، ١٩٦٤م) ص٤٢٠

(٥) ينظر : عبد الرحمن (ت:٨٠٨هـ/ ١٤٠٦ م) ، مقدمة ابن خلدون " وهي الجزء الاول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، تحقيق: الاستاذ حجر عاصي ، (بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ١٩٨٦م) ص٣٣٥.

(٦) امين ، احمد ، ظهر الاسلام ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، د ت) ج٣،ص٨ ؛ ابو حويج، مروان سليم ، اصالة التثقيف ا لتربوي الاسلامي في الفكر الاندلسي (الدار الجامعية ، ١٩٨٧م) ص ٣٠٦.

(٧) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٣٣٥.

(٨) اسين ، ابن عربي حياته ومذهبه ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٦م) ص١٢١.

(٩) هو احمد بن عفيف بن عبد الله بن مـ ريوال بن جراح بن حاتم الاموي ، من مدينة قرطبة ، يكنى ابا عمر ، روى عن جماعة من العلماء وعني بالفقه ومال الى الزهد وكان يعض الناس بمسجده بقرطبة ويعلم القران فيه . ينظر ترجمته : ابن بشكوال ، ابو القاسم خلف بن عبد الملك (٥٧٨هـ /١١٨٣م) ، كتاب الصلة في تا ريخ علماء الأندلس ، تح: صلاح الدين الهواري ،ط١(بيروت – صيدا، ١٤٢٣هـ_ ٢٠٠٣م) ج١،ص٤٧-٤٨ ؛ كحالة ، عمر ، معجم المؤلفين (بيروت –لبنان ، دار احياء التراث العربي، د ت) ج١، ص٣١٣؛ الزركلي ، خير الدين ، الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م) ، ج١،ص٢١١.

(١٠) يكنى ابو محمد وهو من مدينة قرطبة ، رحل الى المشرف خلال حكم عبد الرحمن بن معاوية(١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٠٠-٧٨٥م) فسمع من الامام مالك بن انس كتاب الموطأ، وقيل انه كانه يحفظه . توفي نة (١٩٩هـ/٨١٥م) . ينظر : ابن الفرضي، ابي الوليد عبد الله ابن محمد الازدي(ت:٤٠٣هـ- ١٠١٣ م)، تاريخ علماء الاندلس، تح: الدكتور صلاح الدين الهواري، ط١ (بيروت : المكتبة العصرية ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م)، ج١،ص٣٠٢.

(١١) ابو حويج ، اصالة التثقيف التربوي الاسلامي في الفكر الاندلسي ، ص٣١٠.

(١٢) هو حافظ ومحدث ومفسر ، ويعد من بين أشهر علماء القرن الثالث الهجري في الأندلس ، ارتحل الى المشرق ودخل العراق فروى عن الأئمة وأعلام المشايخ من أهل العلم منهم: الإمام احمد بن حنبل (٢٤١هـ/ ٨٥٥م) ، وبعد عودته الى

الأندلس من رحلته الطويلة بما جمع من العلوم الواسعة والروايات العالية والاختلافات الفقهية، ذاع صيته وكبرت منزلته لدى العامة من الناس لسعة علمه، توفي= =سنة(ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م) ، ينظر ترجمته: الضبي ، أبو جعفر احمد بن يحيى بن عميرة (ت: ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الأندلس (ذيل لكتاب جذوة المقتبس للحميدي) تقديم وضبط وشرح : د صلاح ا لدين الهواري ، ط(بيروت –صيدا، المكتبة العصرية ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م) ص٢٢٤؛ ، الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) ، الوافي بالوفيات ، تح : احمد الارناؤوط ، تركي مصطفى (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ج٣،ص٢٨٨؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ/ ١٥٠٥م) ،طبقات الحفاظ ،ط١(بيروت : المكتبة العلمية ، ١٤٠٣هـ) ص٥٥؛ ؛ المقري ، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : احسان عباس ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٩٧م) ج٢،ص٤٧؛ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله جلبي (ت:١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦ م) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د ت) ج٢،ص١٦٧٩.

(١٣) الزبيدي ، ابو عمر محمد بن الحسن الاشبيلي (٣٧٨هـ/٩٨٩م) ، طبقات النحويين ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط١(القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٤م) ص ٨٧٨،٣٣٥ .

(١٤) بن شريفة ، محمد ابو تمام وابو الطيب في اداب المغاربة (بيروت : دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٦م) ص١٠ وما بعدها و ص ٩٥وما بعدها .

(١٥) البشري ، سعد عبد الله صالح ، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الاندلس (٣١٦-٤٢٢هـ/ ٩٢٨-١٠٣٠م) (مكة الكرمة : معهد البحوث العلمية واحياء التراث الاسلامي ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م) ص٥٣-٥٤.

(١٦) **سالم** ، تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس ، ص٣٧٧.

(١٧) الحجي ، عبد الرحمن ، اندلسيات ، المجموعة الثانية (مصر : دار الارشاد ، ١٩٦٩م) ص١٥٧.

(١٨) الرفاعي ، انور ، الانسان العربي والتاريخ (دمشق: دار الفكر ، ١٩٧١م ، ص٣٨٠

(١٩) هونكة ، زيغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب ، نقله عن الالمانية :فاروق بيضون وكمال دسوقي ، راجعه ووضع حواشيه : مارون وعيسى وكمال الخوري، ط٤ (بيروت : منشورات دار الافاق الجديدة ، ١٩٨٠م) ص ٣٩٦-٣٩٧

(٢٠) القالي ، ابو علي اسماعيل بن عيذون (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م) ، كتاب الامالي (لبنان : دار الكتاب العربي ، د ت) ج١، ص٢-٣.

(٢١) الحجي ، اندلسيات ، المجموعة الثانية ، ص١٥٧. ينظر ايضا : ؛ ينظر : امين، حسين، المسجد واثره في تطوير التعليم، مجلة دراسات تاريخية ، العدد الخامس، سوريا، ١٩٨٠م ، ص ٧-٨ .

(٢٢) ابو عبد الله محمد المراكشي (ت٧١٢هـ/١٣١٢م)، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ،تحقيق وضبط : بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد ، ط١(تونس : دار الغرب الاسلامي ، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م) ج٢، ص٢٢٦.

(٢٣) ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى بن عبد الملك (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق : شوقي ضيف (مصر : دار المعارف ، ١٩٥٣م) ج١،ص٥٨.

(٢٤) ينظر :ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج٢ ،ص٣٩؛ ابن خاقان ، ابو نصر الفتح بن محمد (ت٥٢٨هـ/١١٤٠م) ، مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس (مصر: مطبعة السعادة ، د ت) ص٦٦-٦٧.

(٢٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٥٤١.

(٢٦) ابن عذاري ، البيان المغرب، ج٢،ص٨٩.

(٢٧) هو ابو عمرو، عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الاوزاعي ، امام الديار الشامية في الفقه والزهد ، ولد في بلعبك ، وتوفي في بيروت سنة (١٥٧هـ/٧٧٤م) . ينظر : ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي بن احمد العسكري الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢ (بيروت: مطبعة دار المسيرة، ١٩٧٩ م) ج١،ص٢٤١.

(٢٨) الحميدي ، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح (٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر) تقديم وضبط وشرح: د صلاح الدين الهواري ، ط١(بيروت– صيدا: المكتبة العصرية ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م) ج٦،ص٢١٢.

(٢٩) ينظر : ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج١،ص١٤٨.

(٣٠) عباس ، احسان ، تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ، ط٥ (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٨م) ص٣٨-٣٩.

(٣١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٥٤١ .

(٣٢) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ج٥ ،ص٢٠٤.

(٣٣) ينظر ترجمته : الضبي ، بغية الملتمس ، ص٢٦٣ ، الزركلي ، الاعلام ، ج٢، ص٣١١.

(٣٤) ينظر ترجمته : ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)،الكامل في التاريخ ، ط١(بيروت :دار صادر للطباعة والنشر ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) ،ج٩، ص٢١٩؛ ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم بن ابي بكر الاربلي (ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح: إحسان عباس، ط١ (بيروت : دار صادر ، ١٩٧١م) ، ج٣،ص١٠٥؛ ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، تح: علي شيري ، ط١(بيروت : دار إحياء التراث العربي ،١٤٠٨– ١٩٨٨م) ج١١،ص٤٠٤؛ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله جلبي (ت:١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م) كشف الظ نون عن أسامي الكتب والفنون ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د ت) ج٢،ص١٤٣؛

(٣٥) صاعد الاندلسي ، ابو القاسم صاعد بن محمد (ت٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م) ، طبقات الامم (مصر : مطبعة السعادة ، د ت) ص ٩٤.

(٣٦) المقري ، نفح الطيب ، ج١،ص٤٦٣،٤٦٢.

(٣٧) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤٦٣،١٥٥.

(٣٨) دياب ، حامد الشافعي ، الكتب والمكتبات في الاندلس ، ط١(القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر ، ١٩٩٨م) ص٣١.

(٣٩) الحجي ، عبد الرحمن ، دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الاندلسي (ابو ظبي : هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث ، ٢٠٠٧م) ص١٢٧ وبعدها .

(٤٠) ينظر : الحميدي ، جذوة المقتبس، ج٥ ،ص٢٠٤ ،٣١٧، ابن بشكوال ، الصلة ، ٦٢١؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص٢٢٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٢، ص٦٣٠،٥٩٩،١٥٨،١٠٤، ج٣،ص١٤٩.

(٤١) هو محمد بن عيسى بن محمد بن معلى بن ابي كدر الحضرمي ، يكنى ابا عبد الله ، سكن قرطبة بدرب بني فطيس ، وكان امامهم في مسجدهم وله مكانة عظيمة عندهم ولد عام (٣١٧هـ/ ٩٢٩م) وتوفي سنة (٣٩٦هـ/١٠٠٥م) ، وهو امين هذه المكتبة وكان مكلفاً بعمل فهرست المكتبة ونسخ الكتب الهامة . ينظر ترجمته : ابن بشكوال ، الصلة ، ص٣٨١.

(٤٢) ريبرا،خوليان ، المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية ، ترجمة : جمال محمد محرز ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، م٥، ١٩٥٩م، ص٨٧.

(٤٣) هو قاسم بن سعدان بن عبد الوارث ، مولى عبد الرحمن بن معاوية من اهل رية وسكن قرطبة ، كان ظابطا لكتبه ، وحسن الخط ، علماص بالحديث والنحو والشعر ، توفي سنة (٣٤٧هـ/٩٥٨م) . ينظر ترجمته : ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج١، ص٣٢٠.

(٤٤) ابن بشكوال ، الصلة ، ج١٠،ص٥٣١.

(٤٥) ربيرا، المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية ، ص٨٣.

(٤٦) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج٢،ص٢٠٦.

(٤٧) المقري ، نفح الطيب ، ج١، ص٤٦٣.

(٤٨) الحجي ، دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الاندلسي ، ص١٥٤.

(٤٩) ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابي العباس بن القاسم بن خليفة (ت٦٦٨هـ/١٢٨٩م) ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق : نزار رضا (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٥م) ص٤٣٩وما بعدها.

(٥٠) ربيرا، المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية ، ص٨٦.

(٥١) المرجع نفسه ، ص٨٧.

(٥٢) ينظر : الزبيدي ، محمد بن الحسن بن عبد الله الاشبيلي (ت: ٣٧٩هـ/٩٨٩م) ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٢(دار المعارف ، ١٩٨٤م) ص٣١٠؛ ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج٢،ص٦٦.

(٥٣) ينظر ترجمته: ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج١، ص٢٦٧.

(٥٤) المقري ، نفح الطيب ، ج٢،ص٧٦.

(٥٥) ينظر ترجمتها : ابن بشكوال ، الصلة ، ج١٠،ص٥٣١.

(٥٦) ينظر ترجمتها : المصدر السابق ،ج١٠،ص٥٣٢.

(٥٧) المقري ، نفح الطيب ، ج١،ص٣٩٤.

(٥٨) ابن الابار : ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي(ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م) الحلة السيراء ، تحقيق : حسين مؤنس ، ط٢(القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٥م) ج١،ص٢١٠

(٥٩) ربيرا ، المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية ، ص٧٤.

(٦٠) ابن منظور ، ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي (٧١١هـ/١٣١١م) ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، تح: روحيه النحاس ورياض عبد الحميد ،ط١(دمشق: دار الفكر ، ١٩٨٤م) ج١٠،ص٣٧٥.

(٦١) المقدمة ، ص٢٥٤.

(٦٢) ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت: ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) ، الأنساب ، تقديم: عبد الله عمر البارودي ، ط١(بيروت : دار الجنان للطباعة والنشر ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ج٥،ص٥٨٤.

(٦٣) سعيد ، خير الله ، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الاسلامية ،ط١(بيروت : دار الانتشار العربي ، ٢٠١١م) ج١،ص٢٥٨.

(٦٤) ولا بد من التنويه هنا الى الاستاذ "كوركيس عواد " حيث سبقنا الى هذا التقسيم في كتابه : الكتب القديمة في العراق (بغداد : مطبعة المعارف ، ١٩٤٨م) ص٨-٩

(٦٥) بدوي ، عبد الرحمن ، دور العرب في تكوين الفكر الاوروبي (القاهرة ،: مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٧م) ص٣٨.

(٦٦) كحالة ، عمر رضا ، مقدمات ومباحث في حضارة العرب والاسلام (دمشق : مطبعة الحجاز ، ١٩٧٤م) ص٢١٥؛ البشري ، الحياة العلمية ، ص١٣٠.

(٦٧) المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله بن ابي بكر (ت٣٩١هـ/ ٩٤٦م) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٢ (ليدن: مطبعة بريل ، ١٩٠٩م) ص٣٩.

(٦٨) كحالة ، مقدمات ومباحث ، ص ٢١٥.

(٦٩) ينظر : ابن عساكر،أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي(ت٥٧١هـ/١١٧٥م) ،تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق: علي شيري (بيروت : دار الفكر العربي ، ١٤١٥هـ) ج٤٥٣،١٣؛ياقوت ا لحموي ، شهاب الدين بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم البلدان (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) ج ٣، ص١٠٦؛ الذهبي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد= = بن عثمان قايماز (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تذكرة الحفاظ، (بيروت -لبنان: دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) ج ٤،ص١٤٢٦.

(٧٠) المقري ، نفح الطيب ، ج١،ص٣٨٦.

(٧١) ينظر ترجمته :ابن الخطيب ، لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، الاحاطة في اخبار غرناطة، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤م) ج١، ص١٢٥.

(٧٢) المصدر نفسه ، ج ١،ص١٢٦.

(٧٣) ماهر حمادة ، محمد ، المكتبات في الاسلام نشأتها وتطورها- ومصائرها ، ط٢(بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٧٨م) ص١٧٥.

(٧٤) ؛ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله جلبي (ت:١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦ م) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د ت) ج١،ص١٦١.

(٧٥) المقري ، نفح الطيب ، ج٢،ص٤٧.

(٧٦) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ج٥،ص١٧٦؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص٢٢٤، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٣،ص٢٨٨.

(٧٧) الحميدي ، جذوة المقتبس ج٢ ، ص٦٠ ؛ الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان قايماز (ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء ،تح: كامل الخراط (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م) ج١٤،ص٢١٧؛ ؛ كحالة ، عمر ، معجم المؤلفين (بيروت -لبنان ، دار احياء التراث العربي، د ت) ج١١، ص٢١٥.

(٧٨) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ج٦ ، ص٢٤ ؛ كشف الظنون ، حاجي خليفة ، ج٢،ص١٤٣؛ البغدادي ، هدية العارفين ، ج١،ص٤٤٩؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٤،ص١٢٣، سركيس ، اليان ، معجم المطبوعات العربية ، (قم المقدسة ، مكتبة اية الله المرعشي النجفي ، ١٤١٠هـ) ص٢٠٣.

(٧٩) الضبي ، بغية الملتمس ، ص٦٩؛ البغدادي ، هدية العارفين ، ج٢،ص٤٧؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٦،ص٧٥.

(٨٠) ابن بشكوال ، الصلة ، ١٥٣؛ جمال الدين، عبد الله، ابو مروان بن حيان امير مؤرخي الاندلس، مجلة اوراق، المعهد الاسباني العربي للثقافة، العدد الثاني، مدريد، ١٩٧٩م ، ص ٢١.

(٨١) ينظر : المقري ، نفح الطيب ، ج٣،ص١٩٣،١٨١؛ سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة الاسلامية (بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧١م)ج٢، ، ص ٤٠.

(٨٢) ابن الفرضي، تاريخ العلماء ، ج٢، ص ٣٤.

(٨٣) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص ٣٣٦.

(٨٤) ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم (ت:٦٦٨هـ/١٢٨٩م) ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، نشره: نزار رضا (بيروت :دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٥م) ص ٤٨٢.

(٨٥) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج٣،ص١١٢.

(٨٦) ا بن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ص ٤٨٣ .

(٨٧) طوقان، قدوري حافظ ، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك(القاهرة :دار الشروق، د ت) ،ص٣٣٥ .

(٨٨) تصريف الحساب في معاملات المدن في البياعات والمساحة والزكوات وسائر ما يعرض فيه من العدد من المعاملات . ينظر : ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٢٠.

(٨٩) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج١،ص٨٣٣.

(٩٠) نفح الطيب ، ج١، ص٢٢٢.

(٩١) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص ٧١.

(٩٢) الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد(ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، فوات الوفيات، تحقيق :احسان عباس(بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٤م)ج٢، ص ٢٦٧.

(٩٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الاندلس، تحقيق وترجمه للإسبانية: لويس مولينا (مدريد: ١٩٨٣م) ص ١٣٨-١٣٩ .

(٩٤) هونكة، شمس العرب، ص ٤٨٩-٤٩٠.

(٩٥) المراكشي ، المعجب ، ص ٤٩ ؛ ينظر : ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص ١٦٣-١٦٤.

(٩٦) الحميدي ، جذوة المقتبس، ص ١١-١٢.

(٩٧) الضبي، بغية الملتمس ، ص ٢٤.

(٩٨) عنان ، محمد عبد الله ، تراجم اسلامية شرقية وأندلسية ، ط٢(القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٧٠م) ص١٦٧.

(٩٩) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص٩٤؛ ابن الفرضي ، بغية الملتمس ، ٤١٥.

(١٠٠) ينظر :ابن جلجل ، أبو داود سليمان بن حسان الاندلسي (ت٣٧٧هـ / ٩٨٧م) ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق : فؤاد السيد (القاهرة : مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥م) ص١١٥؛ صاعد الاندلسي ، طبقات الامم، ص١٩٠ وما بعدها .

(١٠١) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج١، ص٢٠٠-٢٠١.

(١٠٢) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٢،ص٢١٠.

(١٠٣) المراكشي ، المعجب ، ص٤١٠.

(١٠٤) العبادي ، عبد الحميد ، المجمل في تاريخ الأندلس، راجعه: مختار العبادي،(مصر : مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر ، ١٩٥٨م) ص ١٤١-١٤٢.

(١٠٥) النباهي : ابو الحسن عبد الله (ت٧٩٣هـ/ ١٣٠٠م) ، تاريخ قضاة الاندلس نشر بعنوان المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق : صلاح الدين الهواري ، ط١(بيروت : المكتبة العصرية ، ٢٠٠٦م) ص١٠٠

(١٠٦) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص١٠٢.

(١٠٧) تاريخ قضاة الاندلس ، ص٩٥.

(١٠٨) ابن بشكوال ، الصلة ، ج٤، ص١٨٨